ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 28 ديسمبر 2016

لماذا لا تموت الإيديولوجيَّات أبداً؟

جان فرانسوا دورتييه

ترجمة: محمَّد الحاج سالم

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
www.mominoun.com للدراسات والأبحاث

جميع الحقوق محفوظة © 2016

All rights reserved © 2016

لماذا لا تموت الإيديولوجيَّات أبداً؟

جان فرانسوا دورتييه (Jean-François Dortier)

ترجمة: **محمَّد الحاج سالم**

ملخّص

من أين يأتي ميل السياسة إلى تحويل الأفكار إلى إيديولوجيَّات؟ لماذا تحتاج السياسة دوماً إلى رفع رايات المعارك وإعلاء الصوت بالشّعارات وتجييش الجماهير، والبحث عن أكباش فداء من أعداء حقيقيّين أو موهومين، وإعلان وعود خُلّب في الغالب، وبعث آمال خائبة في الأغلب؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يأخذنا هذا المقال في جولة عبر تاريخ الأفكار والفلسفة السياسيَّة، لنرى كيف تُولد الإيديولوجيَّات، وكيف تتطوَّر وتمتدُّ وتنتشر في المكان والزمان، وكيف تنجح مرَّات وتفشل في أخرى، وكيف تموت كي تنبعث دوماً كالعنقاء من رماد نارها.

******

ما هي النقطة المشتركة بين الاشتراكيَّة والليبراليَّة والفاشيَّة والشيوعيَّة والبيئويَّة والقوميَّة والفوضويَّة؟ الجواب يكمن في ثلاثة حروف صغيرة: «يَّة» [هي أربعة حروف في الفرنسيّة في اللاحقة isme) - م]، وُضعت في نهاية كلّ كلمة. وتكفي هذه اللاحقة إلى أن نشير بأصابع الاتهام إلى الظاهرة الإيديولوجيَّة. ولا تغيب هذه اللاحقة أيضاً عن فنون الرسم (الانطباعيَّة)، والأدب (الطبيعيَّة)، وحتى العلوم (الداروينيَّة، الفرويديَّة)، فهي مؤشّر على نظرة للعالم مرتبطة بحركة تدعمها. فالإيديولوجيا إذن أكثر من مجرَّد فكرة، فهي مشروع أو مثال، وهي أيضاً حركة ومعركة غالباً ما تكون ضدَّ «يّات» أخرى. وبوصفها حركة فكر وعمل، فإنَّ للإيديولوجيا كلَّ صفات الدين - وهو منتج كبير آخر للـ«يّات» - إذ تشترك معه في العديد من النقاط: آباء مؤسّسون، أسطورة مقدَّسة، قضايا يُحارب من أجلها، آمال مرجوَّة، خيبات أمل، تأويلات مختلفة، خصوم، تعديلات، بِدَعٌ وصراعات داخليَّة، وأساطير مؤسّسة.

ولكن من أين يأتي ميل السياسة إلى تحويل الأفكار إلى إيديولوجيَّات؟ لماذا تحتاج السياسة إلى رفع الرايات والاهتياج والبحث عن مذنبين وبعث آمال (خائبة في الغالب)؟ قد يكون دماغ الإنسان بطبيعته ميَّالاً إلى الإيديولوجيَّات كما يظنُّ البعض، إلا إذا كان منطق ساحات المعارك السياسيَّة نفسه يؤدّي حتماً إلى صياغة سرديَّات عظيمة تفوح منها رائحة الأساطير القديمة.

يقتضي الجواب عن هذا السؤال جولة عبر التاريخ، لنرى كيف تولد الخطابات الإيديولوجيَّة وتنتشر وتموت، لتنبعث دوماً من جديد.

نواة الإيديولوجيا

في السياسة كلُّ شيء يبدأ بمشاكل (توتّرات، إحباطات، صراعات، تهديدات)، ويتمُّ الحلُّ بالبحث عن حلول جماعيَّة. لا شيء أكثر منطقيَّة من هذا الأمر. ولكن على عكس الطبّ أو الهندسة في بحثهما عن حلول ملائمة لكلّ مشكلة محدَّدة، فإنَّ الإيديولوجيا تنزع إلى إدماج جميع المشاكل في مشكلة واحدة بطريقة تختزل جميع الحلول في صيغة واحدة. مشكلة فريدة من نوعها وحلّ شامل؛ هذه هي نواة كلّ إيديولوجيا.

تريدون أمثلة؟ الرأسماليَّة هي المشكلة، كما يقول البعض، وهي سبب جميع العلل: عدم المساواة والأزمات والظلم والبطالة والفقر والتلوث، ... إلخ. والحلّ؟ لا مندوحة من إسقاطها (الشيوعيَّة)، أو تغييرها في العمق (الاشتراكيَّة)، أو موازنتها (الديمقراطيَّة الاجتماعيَّة)، أو بناء بديل عنها (التضامنيَّة، التعايشيَّة (convivialisme.

يقول آخرون: لا، المشكلة الكبرى هي الدولة؛ فقد ثبت أنَّها قمعيَّة وبيروقراطيَّة وخانقة ومكلفة، وغير فعَّالة، ... إلخ، ولذلك يجب إلغاؤها (الفوضويَّة والتحرُّريَّة)، أو تقليصها (الليبراليَّة الجديدة)، أو مراقبتها (دولة القانون)، ... إلخ.

وماذا لو كانت المشكلة في مكان آخر، في عالم خارجي يهدّد (الغريب، المحتلّ، المنافس، ... إلخ)؟ الحلُّ واضح: دفع العدو والاقتصار على التعايش فيما بيننا، وهذا هو المشروع القومي في أشكاله المتعدّدة (الوطنيَّة، الإقليميَّة، الطائفيَّة، وما إلى ذلك).

وماذا لو كانت المشكلة الكبرى ليست في الخارج، بل فوقنا، في النخب الفاسدة والعاجزة التي تحكمنا؟ الحلّ: دعوة الشعب (الشعبويَّة، الفوضويَّة)، أو المنقذ نظيف اليد، وهذا أساس كلّ القيصريَّات (césarismes).

تميل الإيديولوجيا إذن إلى تكثيف جميع المشاكل في مشكلة واحدة كي تُعطيها إجابة واحدة. وهذه الرؤية للأمور تُساعد على تقسيم العالم إلى شطرين: المشكلة وحلّها، الشرّ والخير، الخطأ والحقيقة، العدوّ والصديق (وفقاً لكارل شميت، فإنَّ تحديد الصديق والعدوّ هو أساس السياسة). فالإيديولوجيا بطبيعتها فكر إثنيني (dichotomique). بل إنَّ الوسطيَّة (وهذه «يَّة» أخرى!) غير مستثناة من ذلك: فالشرُّ هو الطائفيَّة والتطرُّف والمثاليَّة مهما كان مصدرها، والحلُّ هو التوافق، واتّحاد الأضدَّاد، و«الطريق الوسط» الذي سبق أن نادى به أرسطو وبوذا.

انبثاقات

الأفكار العظيمة هي بنات التجارب العظيمة في التاريخ. وكلُّ القيم العظيمة التي هيكلت مخيالنا السياسي[1] من ليبراليَّة وقوميَّة وديمقراطيَّة ومساواة وجمهوريَّة واشتراكيَّة وبيئويَّة، ... إلخ، إنَّما ولدت في لحظات مؤسّسة للتَّاريخ الحديث. فقد انتشرت الليبراليَّة السياسيَّة في القرنين السابع عشر والثامن عشر كردّة فعل على قمع السُّلطات الاستبداديَّة (كما وُلدت البروتستانتيَّة من احتجاج ضدّ تجاوزات الكنيسة). وكانت فكرة السيادة الشعبيَّة والديمقراطيَّة ردَّة فعل ضدَّ انتهاكات النخب الأرستقراطيَّة وامتيازاتها. وفي القرن التاسع عشر نشأت التيَّارات الاشتراكيَّة استجابة للألم (الأزمة والبؤس والاستغلال) الذي سبَّبته الرأسماليَّة الوليدة. وفي الحقبة نفسها نمت القوميَّة في أوروبَّا على أنقاض الإمبراطوريَّات القديمة والممالك المترنّحة. ولم يكن القرن العشرون شحيحاً بالإيديولوجيَّات: فالشيوعيَّة والفاشيَّة وحركات الاستقلال، والليبراليَّة الجديدة، والفكرة الأوروبيَّة، والجهويَّات، واليسراويَّات، والنسويَّة، والبيئويَّة، نشأت كلّها من تعرُّجات

1. في الواقع، المخيال السياسي للغرب المعاصر.

التاريخ الحديث. وللوهلة الأولى، يبدو أنَّ جميع هذه الإيديولوجيَّات الكبرى إنَّما وُلدت استجابة لأزمات وخيبات نظام قائم. فمن الشرّ قد يولد الخير، يولد حلم بغدٍ أفضل، ومن الحلم تُولد إيديولوجيا: «حيثما يُولد الخطر، ينمو أيضاً ما يُنقذ»، كما كتب هولدرلين (Hölderlin) في انتظار أن يتحوَّل الشرُّ إلى خير، وأن يغدو المظلوم ظالماً، وأن يتحوَّل حلُّ الأمس إلى مشكلة الغد. والحقّ أنَّ هذه القراءة الجدليَّة من المؤرّخ لا تخلو من فائدة، إلا أنَّها كذلك محدودة، إذ لا تُوجد أبداً إجابة واحدة وحيدة لمشكلة معيَّنة. فحين تبدأ الأمور في أحد المجتمعات في التعكّر، تحضر دائماً مجموعة من الحلول، والثورة الفرنسيَّة مثال جيّد على ذلك؛ ففي عام 1789 انتفض الفرنسيّون في وجه بؤس الشعب، وإحباط البرجوازيَّة وعجز النظام الملكي عن تلبية تطلّعاتهم. وفي السنوات التالية، تتالى عدد من الحلول الممكنة بدعم من النوادي والعُصبات المختلفة (الجبليّون Montagnards، والجيراندیّون Girondins، وأتباع الرهبانيَّة الفويونيَّة Feuillants، واليعاقبة Jacobins، ثمَّ البونابرتيّون المؤيّدون لإعادة الحكم الملكي). وقد توافق طيف الحلول المقترحة مع بعض الصيغ الرئيسة التي سنتعرَّف عليها في وقت لاحق.

1) المحافظة على الوضع الراهن من قبل من لا يريدون تغيير أيّ شيء، أو ممَّن هم في الهامش (أحياناً قريبون من السُّلطة القائمة).

2) الإصلاح: مؤيّدوه يرغبون في تغيير الأمور دون قطيعة.

3) الثورة: لها أنصارها الذين يريدون قلب نظام الحكم القائم.

4) الرغبة في استعادة الحكم الملكي أو الثورة المضادَّة: وقد جمعت المتحسّرين على الماضي (أسطورة العصر الذهبي أمر ثابت في السياسة)[2].

5) اليوتوبيا: هي حلم من يريد إعادة بناء العالم في مكان آخر (على أرض ميعاد جديدة)، هنا (في جزيرة مجتمعهم) أو في وقت لاحق (في مستقبل غير محدَّد).

6) وأخيراً، من لا يُفكّر بمصطلحات المشروع أو نظام الحكم، بل بالأمل في مخلّص، في رجل تُرسله العناية الإلهيَّة: فللسياسة أيضاً مخلّصوها.

ولعمري إنَّ هذه الصيغ المتكرّرة (المحافظة على الوضع الراهن، الرجعيَّة، الإصلاح، الثورة، الطوبى، المنقذ) تتطابق تقريباً مع طيف الـ«ـيّات».

2. Raoul Girardet, **Mythes et mythologies politiques**, Seuil, 1986.

منتجو المعنى

في مواجهة الطلب، إذن، تتعدَّد العروض. وفي مواجهة النزاعات والأزمات والمخاوف والتهديدات، حين يتساءل عدد من السكَّان عن الحلول الممكنة، تتَّجه الأنظار نحو أولئك الذين يتجرَّؤون على الكلام ويقولون: «هذا ما يجب القيام به». إنَّهم، وإن لم يكونوا يمتلكون الحقيقة، فهم على الأقلّ مقتنعون بحصولهم عليها، وهؤلاء هم مبدعو المعاني، والمتلاعبون بالرموز[3]، ومنتجو الإيديولوجيَّات. فمن هم؟

تاريخيَّاً، تُوجد فئتان رئيسيّتان: المثقَّفون والقادة السياسيُّون.

- المثقّفون: منذ العصور القديمة لعب المثقّفون دوراً رئيسيَّاً في صياغة الأفكار السياسيَّة. فقد تصوَّر أفلاطون نموذجاً لجمهوريَّة مثاليَّة (يحكمها الفلاسفة)، وقد ألّف مكيافيلي كتاب الأمير خدمة للحكّام)، وتضمَّن دستور الولايات المتَّحدة بعض المقاطع لجون لوك، وألهم مونتسكيو وروسّو الثورة الفرنسيَّة، وهل كان للشيوعيَّة أن تُوجد دون ماركس؟ فللقوميَّة، والبيئويَّة، والفوضويَّة، ... إلخ، ولجميع الحركات السياسيَّة معلّمون موجّهون.

- السياسيُّون: وهم الفئة الثانية من منتجي المعنى. وقد تمكَّن بعضهم من بلورة مشروع أو مثال أو نموذج سياسي حول شخصهم، وتمَّ إلحاق «يَّة» بأسمائهم: البونابرتيَّة، الفرانكويَّة، الماويَّة، الديغوليَّة...

بين عالم الأفكار ورجال الفعل، وبين المثقف والقائد السياسي، من الذي يؤثّر في الآخر؟ الجواب صعب.

دور الأحزاب

لكن يُوجد شيء يبدو مؤكَّداً؛ دون دعم تنظيمي لا يمكن للأفكار البقاء طويلاً. هذا ما فهمه هتلر جيّداً حين كتب في كتابه (كفاحي) أنَّ رؤيته للعالم لا يمكنها التحقّق إلا من خلال «حزب سياسي منظّم وكأنَّه فرقة هجوميَّة». ولم يقل ماركس ولينين شيئاً غير هذا، فقد ربطا هما أيضاً النظريَّة بالفعل، ووزّعا وقتهما بين الكتابة والمشاركة في بناء حزب[4]. فالمعركة الإيديولوجيَّة لا تجري فحسب في مجال الأفكار والقصف بالحجج والانتصار فيها، بل هي تتمُّ في الميدان السياسي من خلال التنظيم، وتوازن القوى، والاستيلاء على مواقع السُّلطة.

3. على حدّ تعبير روبرت رايخ (Robert Reich).

4. الأمميَّة الأولى بالنسبة إلى ماركس، والأمميَّة الثالثة بالنّسبة إلى لينين.

وتنبني العقيدة السياسيَّة بالتَّأكيد على كتابات وخطب وبرامج وكتيبات وبيانات وشعارات. والطيف واسع: من البناءات النظريَّة ذات الطابع العلمي أو الفلسفي (روح القوانين، العقد الاجتماعي، رأس المال)، إلى البيانات (ما العمل؟ اغضبوا) والخطب (عندي حلم) والشعارات (نعم، نستطيع). إلا أنَّه لا تأثير للعقيدة السياسيَّة إلا إذا كانت لها قاعدة اجتماعيَّة في الميدان، من خلال نشطائها وأعضائها وأنصارها، وناخبيها الذين يجب تجنيدهم والحفاظ على حماستهم، وهذا هو دور الحزب السياسي: إنَّه آلة سلطة، وأداة دعاية من خلال مناضلين، وراية، واسم، واجتماعات، ونشرات، والتماسات، واجتماعات عامَّة، ومؤتمرات، وانتخابات، ومشاريع وبرامج. وهو كذلك تنظيم من خلال ديناميَّته الداخليَّة: علاقاته الاجتماعيَّة، ومآدبه، وحملاته، والأيدي المتشابكة، والملصقات، والأغاني، والضحكات والدموع التي تهزُّ القلوب، و«عائلة»، وانغراس معرفي. وهو أيضاً تسلسل هرمي، وتوق إلى المناصب، وطموحات. فالإيديولوجيا لا شيء دون حزب، والحزب لا شيء دون إيديولوجيا.

حين تصل الإيديولوجيا إلى السُّلطة

ماذا يحدث حين تصل إيديولوجيا ما إلى السُّلطة؟ لقد جرَّبت جميع المذاهب السياسيَّة الكبرى ذلك: الليبراليَّة، والاشتراكيَّة، والشيوعيَّة، والفاشيَّة، والقوميَّة[5]. كما يمثّل الانتقال من المعارضة إلى السُّلطة اختباراً كذلك، فهو يتطلَّب تحوُّلاً: لا بدَّ أن تتحوَّل عقيدة القتال إلى إيديولوجيا دولة.

وتُوجد صيغ عديدة لذلك. وتتمثّل أكثر إيديولوجيَّات الدولة راديكاليَّة في الكليانيَّة. وتتحدَّث حنّة أرندت عن «حكم الفكرة» (idéocratie) الذي تبدو فيه السُّلطة في خدمة فكرة واحدة كبيرة (على غرار الممالك المقدَّسة القديمة). وفي هذا النوع من نظام الحكم يغدو المجتمع تحت السيطرة المطلقة لوسائل الإعلام والدعاية، وتغدو الإيديولوجيا أداة دعاية وإضفاء الشرعيَّة على سُلطة قائمة مختزلة في قائدها الأعلى.

ويمكن لإيديولوجيَّات الدولة أن تتَّخذ الشكل الأقلَّ هيمنة لـ«الإيديولوجيا السائدة»، بمعنى «الفلسفة الاجتماعيَّة للفئة المسيطرة في المجتمع»[6]. ولكنَّ إيديولوجيا الطبقة الحاكمة (إذا كانت متجانسة) ليست بالضَّرورة «إيديولوجيا هيمنة» (بالمعنى الذي يقصده أنطونيو غرامشي)، أي يتقاسمها الجميع. فإيديولوجيَّات السُّلطة يمكنها أن تتَّخذ شكل إيديولوجيَّات تكنوقراطيَّة أو إداريَّة مرتبطة تاريخيَّاً بمشاريع كبرى: اقتصاديَّة (الكينزيَّة، التخطيط، التنمية) واجتماعيَّة (إنشاء دولة الرفاه)، وصحيَّة (الوقائيَّة hygiénisme، البيوسياسة biopolitique). كما نتحدَّث كذلك بخصوص السياسات العامَّة عن «مجتمعات معرفيَّة» لا تتَّخذ شكل

5. على غرار اليهوديَّة قديماً، تحوَّلت المسيحيَّة والإسلام من طوائف منعزلة إلى أديان سلطة.

6. Pierre Bourdieu & Luc Boltanski, « La production de l'idéologie dominante », Actes de la recherche en sciences sociales, volume II, n° 2, 1976.

المذاهب الحزبيَّة، وإنَّما هي على العكس من ذلك نوع من الاعتقادات الجاهزة تتجاوز التيَّارات السياسيَّة؛ وهذه هي حالة التنمية المستدامة، وسياسات التجديد، أو الإيديولوجيَّات الصحيَّة.

نهاية الإيديولوجيات؟

الإيديولوجيَّات تولد وتنتشر وتصل أحياناً إلى السُّلطة، وهي تموت أيضاً. فقد انهار بعضها بانهيار الأنظمة التي تبنَّتها، وهذا هو حال الملوكيَّة والنازيَّة والشيوعيَّة. وبالطَّبع، بقي فيها بعض الحنين إلى الماضي، ولكن يبدو أنَّها محكومة (في الوقت الراهن) بالتَّهميش.

كما تعرف إيديولوجيَّات أخرى على العكس من ذلك نجاحات، إلى درجة أنَّها تفقد طابعها الإيديولوجي الحزبي لتصبح فضاءات عامَّة أو قيماً مشتركة. وهذا ما ينطبق على القيم المنقوشة على واجهات المؤسَّسات العموميَّة أو في الدساتير: الجمهوريَّة، الحرّيَّة، الديمقراطيَّة، حقوق الإنسان، ... إلخ. ولا يعني هذا أنَّها قيم كونيَّة، إذ تُوجد مناطق في العالم لا تشترك في هذه المُثُل، لكنَّها استقرَّت باستمرار في القوانين وفي الضمائر، إلى حدّ أنَّها لم تعد تخضع لمناقشات إيديولوجيَّة. وهي تعود إلى الظهور في اللحظات الحرجة فحسب، حين يُراد إذكاء الجذوة من أجل مواجهة مشتركة لمخاطر حقيقيَّة أو متوهَّمة. وتمثّل الحروب والأزمات السياسيَّة الكبرى والأحداث الدراماتيكيَّة فرصة لاستعادة الجذوة المتوقّدة.

هل يمكننا تخيّل اختفاء الإيديولوجيَّات ذات يوم من المشهد السياسي؟ هذا أمر قليل الاحتمال. لماذا؟ لأنَّ الأفكار العظيمة والمشاريع السياسيَّة الكبيرة لا تنشأ في العقل المجرَّد لمفكّرين مترفّعين عن الدنيا (كما كان يُريد أفلاطون)، كما أنَّها لا تتطوَّر في عالم مثالي يناقش فيه ممثّلو الشعب العقلاء حلولاً لمشاكل عصرنا.

لقد وُلدت الإيديولوجيَّات من محن كبرى ومعارك كبيرة. وهي وريثة ساحات القتال حيث تتواجه الجماعات والمجموعات ومختلف العشائر من أجل مصالحها وتطلّعاتها المختلفة والمتعارضة في الغالب، وتتصادم مصالح البعض مع مصالح الآخرين. والسياسيُّون هم من يمثّل أو يسعى إلى تمثيل هذه الجماعات في انتظار المكاسب أو الاعتراف. وتولّد هذه المعارك موجات تضامن أو أشكال تقوقع على الذات، تولّد آمالاً كبيرة، وخيبات أمل واستياءات. ولا يمكن لمثل هذه التربة إلا أن تكون ملائمة لتشكّل متواصل لـ«ـيّات» جديدة.

الأفكار السياسيَّة: عمَّ نتحدَّث؟

«الأفكار السياسيَّة» مصنوعة من خليط من النظريَّات والمذاهب والإيديولوجيَّات، والخطابات، والقيم والآراء والمعتقدات، ... إلخ. وإذا ما كانت هذه الأبعاد في الواقع متشابكة، فإنَّه سيكون من المفيد الإشارة إلى بعض الفروق المفاهيميَّة.

• الفلسفة السياسيَّة تتماثل مع مجال تدريس وبحث يركّز على النظريَّات السياسيَّة للفلاسفة. وفي هذه المدوَّنة التقليديَّة التي تركّز على الفكر الغربي، يحضر أفلاطون، وأرسطو، ومكيافيلي، ولوك، وروسو، ... إلخ، وصولاً إلى الفلاسفة المعاصرين (يورغن هابرماس Jürgen Habermas، وجون راولز John Rawls أو مايكل والزر Michael Walzer).

• الإيديولوجيَّات تتماثل مع العقائد السياسيَّة الكبرى المرتبطة بحركات تاريخيَّة: الليبراليَّة، الاشتراكيَّة، الشيوعيَّة، البيئويَّة، الوسطيَّة، الملوكيَّة، الفاشيَّة، الديغوليَّة... ولا ترتبط جميعها بالضَّرورة بـ«فلسفة» (بالمعنى المحدَّد أعلاه): فبناء الديمقراطيَّة اليونانيَّة تمَّ في تعارض مع رأي الفلاسفة، ولا يُوجد مذهب فلسفي كبير ألهم بناء أوروبَّا، أو دولة الرفاه، أو الديمقراطيَّة الاجتماعيَّة.

• العائلات السياسيَّة: إلى جانب العائلات الثلاث الكبيرة لليمين الفرنسي التي وصفها رينيه ريمون (René Rémond)، أضاف جاك جوليار (Jacques Julliard) أربعة لليسار: اليعقوبيَّة، والجمعويَّة، والليبراليَّة، والتحرريَّة[7]. ويمكننا الآن إلى جانب هذه العائلات السياسيَّة السبع، إضافة العائلة البيئويَّة. وتتماثل العائلات السياسيَّة مع تيَّارات فكريَّة مستقرَّة نسبيًّا ومرتبطة بأحزاب. وهي تتجمَّع حول الشقّين الرئيسيَّين، اليمين واليسار، وهما يشكّلان القاعدة المستدامة للسياسة منذ قرنين.

• الثقافات السياسيَّة. يمكن اعتبار «العائلات السياسيَّة» ثقافات فرعيَّة داخل ثقافات أوسع هي ثقافات القيم التي يتقاسمها مجتمع بأكمله: حقوق الإنسان، والديمقراطيَّة، والجمهوريَّة، ودولة القانون، ... إلخ، وهي جزء من التراث المشترك للقيم السياسيَّة في الدول الغربيَّة.

7. Jacques Julliard, **Les Gauches françaises, 1762-2012. Histoire, politique et imaginaire**, Paris: Flammarion, 2012.

لِمَ تصلح الأفكار السياسيَّة؟

«**الفلاسفة يفسّرون العالم فحسب، الأهمُّ هو تغييره**». هذا ما قاله ماركس في كتابه الإيديولوجيا الألمانيَّة، حين هاجم الفلاسفة الشباب الذين يخطئون في اعتناقهم المثاليَّة من خلال اعتبارهم أنَّ قوّة نقدهم كافية لتغيير العالم. فقد رأى ماركس أنَّ النقد غير مجدٍ، ولا بُدَّ للنظريّة أن تترك مكانها للفعل (البراكسيس).

إلا أنَّ هذا خطأ، يجيب طوم بروكس (Thom Brooks)، أستاذ الفلسفة السياسيَّة البارز في دورهام (Durham) الذي يرى أنَّ النظريَّة السياسيَّة ساهمت أحياناً في تغيير الأمور[8]، ويسرد بعض الحالات الشهيرة مثل جون لوك، الذي ألهمت رسالته في الحكومة المدنيَّة (1690) بدرجة كبيرة مؤسّسي الأمَّة الأمريكيَّة.

أمَّا في الأزمنة المعاصرة فيبدو الاقتصاديُّون أصحاب التأثير الحاسم. فالموجة الليبراليَّة الجديدة الكبيرة في الثمانينات أوحت بها حفنة من منظّري السوق الحرَّة، ومنهم: ميلتون فريدمان (Milton Friedman) وفريدريك هايك (Friedrich Hayek)، إلى جانب نخب دوليَّة (رونالد ريغان، مارغريت تاتشر، البنك الدولي، صندوق النقد الدولي)[9]، تماماً كما فعل جون كينز (John M. Keynes) في الجيل السابق[10].

وفي نظر طوم بروكس، فإنَّ تأثير الأفكار والنظريَّات على السياسة لم يعد يحتاج أيَّ برهنة، والأمر لا يتعلّق بمعرفة ما إذا كان للأفكار دور بقدر ما يتعلّق بفهم المنافذ والطرائق والقوى التي تؤثّر بها. وقد شرع العديد من الباحثين بعدُ[11] في تشريح هذا السؤال: ما هو الدور الذي تلعبه الأفكار السياسيَّة حقّاً؟

العنوان الأصلي للمقال:

Jean-François Dortier, « Pourquoi les idéologies ne meurent jamais », Sciences humaines, Hors série n°21 (Les grandes idées politiques), mai-juin 2016.

8. Thom Brooks, « Why political theory matters », in Gerry Stocke, Jon Pierre & B. Guy Peters (dir), **The Re - evance of Political Science**; Palgrave Macmillan, 2015.

9. Keith Dixon, **Les Évangélistes du marché, Les intellectuels britanniques et le néo-libéralisme,** Col. Raisons d'agir, Paris, 2008.

10. Peter Hall, **the Political Power of Economic Ideas. Keynesianism across nations**, Princeton University Press, 1989.

11. Dietrich Rueschemeyer, « Why and how ideas matter », in Robert Goodin & Charles Tilly (dir), **The O - ford Handbook of Contextual Political Analysis**, Oxford University Press; Thomas M. Magstadt, **Understanding Politics. Ideas, institutions, and issues**, 12e éd., Cengage Learning, 2015; Daniel Béland & Robert Henry Cox, **Ideas and Politics in Social Science Research**, Oxford University Press, 2011.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنــون بلا حدود

Mominoun Without Borders

www.mominoun.com للدراســات والأبحــاث

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2016

جميع الحقوق محفوظة © 2016